أولا: نبذة عن ابن جني:

 هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ولد في الموص قبل سنة 330 هـ، وكان أبوه مولى روميًا لسليمان بن فهد الأزدي، وقيل في صفاته أنه كان أشقر أعور وقد أشار إلى عيبه هذا في قصيدة له قال فيها: صدودك عني ولا ذنب لي يدل على نية فاسدة وقد وحياتك مما بكيت خشيت على عيني الواحدة ولولا مخافة أن لا أراك لما كان في تركها فائدة وقيل في وصفه إنه كان رجل جدّ عفيف اللسان والقلم يتجنب الألفاظ المندية للجبين. نشأ في الموصل و قرأ الأدب في صباه على أبي علي الفارسي، وتعلم النحو عن الأخفش، وبلغ من العلم مرتبة لم يبلغها أحد قبله، لا سيما وقد عانى أبناء عصره من الضعف العلمي واللغوي، وتوفي سنة392هـ..

مكانة ابن جني العلمية:

 تلقّى ابن جني العلم على يد مجموعة من العلماء والشيوخ من هم ابن مقسم وأبو الفرج الأصفهاني والأخفش وأبوبي علي الفارسي، وهم من كبار علماء اللغة والنحو وقد ترك كل منهم أثرًا واضحًا في شخصية ابن جني وحبه للمعرفة وعلومه المكتسبة، وكان ابن جني قد اهتدى إلى قضية الاشتقاق الأكبر وكان له الفضل في تقعيدها وبيان مناسبة بعض المعاني لبعض الاصوات رغم تقلب اصولها. لذلك فقد حاز ابن جني على مكانة علمية رفيعة شهد له بها أهل عصره وزمانه وكثير من أهل اللغة والنحو والقائمين على دراسته في العصور اللاحقة وحتى يومنا هذا، فقد قال الثعالبي عنه: هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره وارتفاع حاله، كما قال عنه ياقوت الحموي: عثمان بن جني من أحذق أهل الأدب و أعلمهم بالنحو والتصريف، وقال عنه الباخرزي في كتابه "دمية القصر": ليس لأحد في أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما لابن جني، ولا سيّما في علم الإعراب. آثار ابن جني ومؤلفاته خلف ابن جني مجموعة كبيرة من الكتب والمصنفات التي تشهد بعلمه والجهد الذي بذله في سبيل حفظ اللغة وتقنينها، وقد تنوعت هذه المؤلفات بين اللغة وما تؤديه من معاني وأثرها في خلق جسر للتواصل بين المرسل والمستقبل، وأخرى تعنى بدراسة التركيب النحوي ومنها:

ثانيا التعريف بكتاب الخصائص:

هو كتاب مختص في فقه اللغة وفلسفتها، ويستهل بالحديث عن اصطلاحات اللغة ومفهوميتها ثم يعرض للقضايا اللغوية العامة كالقياس والاستحسان والمجاز والتقديم والتأخير وما إلى ذلك من قضايا اللغة. المحتسب في توجيه الشواذ من القراءات: ويعرض ابن جني من خلاله للقراءات الشاذه والوجوه النحوية التي تجري بها. سر صناعة الإعراب: عمد ابن جني من خلال هذا الكتاب على إلى توسعة الدراسات الصوتية التي بذلها سابقوه، وبين من خلاله الحروف ومخارجها وصفاتها الصوتية. التصريف الملوكي:وهو كتاب موجز في البنى الصرفية ومعاني حروف الزيادة الواردة فيها. التنبيه على شرح مشكلات الحماسة: وعمد ابن جني من خلاله لتفسير ما أشكل من الدلالات الشعرية تبعًا للقضايا النحوية واختلافها، وهو لم يقف على شرح الأبيات وتفسيرها، إنما كان قد اكتفى بما يخص جانب الإعراب والتركيب النحوي. العروض: ويقف فيه ابن جني على عروض الخليل الفراهيدي وما يتتعرض له البحور من الزحاف والعلل، من خلال الأبيات الشعرية المختارة.

ثالثا: موضوعات كتاب الخصائص:

ما هي القضايا التي عالجها ابن جني في كتابه الخصائص؟ إن كتاب الخصائص لابن جني اشتمل على موضوعات عديدة ومتشعبة في اللغة العربية، وفيما يأتي عرضٌ لهذه الموضوعات التي قسمها في ثلاثة مجلدات.

 المجلد الأول: في هذا المجلد حديث عن الكلام والقول واللغة وعلَلِها فقد بدأ ابن جني بالحديث عن حدود اللغة والفرق بين الكلام والقول، ثم يتحدث عن النحو والإعراب والبناء، ويناقش قضية أصل اللغة ما بين الإلهام والاصطلاح، ويعرض لعلل اللغة العربية مثل الاطراد والشذوذ، وينتقل بعدها لقضايا القياس والسماع ويعرض في هذه الأبواب ما يهم النحاة في ميدان السماع والقياس والاستحسان، وأنواع القياس بين جائز وواجب، والتعارض بين السماع والقياس. في المجلد الأول أيضًا كلام طويل عن علل اللغة العربية وكيفية قراءاتها واختلاف الآراء فيها، ثم ينتقل إلى الاحتجاج وتفاصيله فيما يخص اللغة العربية، ثم يختم بما له علاقة بتقدير الإعراب، والفصاحة في اللغة، ويتحدث عن موضوع تركيب اللغات، وإصلاح اللفظ وتلاقي اللغات.

 المجلد الثاني: إنّ المجلد الثاني لا يُعد منفصلًا في موضوعاته عن السابق، بل إنه تتمة وتوضيح واستكمال للمعلومات السابقة، إذ يبدؤه بما كان قد توقف عنده في المجلد الأول وهو الفصاحة في اللغة، والسماع والقياس، ثم ينتقل إلى قضية مهمة عن اللغة وهي إذا ما كانت اللغة قد وُضعت دفعة واحدة أم على مراحل، وبعدها ينتقل لشرح أصول اللغة وتشابهها من حيث الأصل أو اختلافها، ويعرض قضايا تشابه أصول الثلاثي والرابعي والخماسي، وما له علاقة بالتقديم والتأخير. في هذا المجلد أيضًا حديث عن الاشتقاق الأكبر، والإدغام الأصغر، وتشابه المعاني بين الإعراب والشعر، وحروف الزيادة وماله علاقة بالساكن والمتحرك والتام والناقص، وحمل الأصول على الفروع، ويعرّج إلى الحديث عن إيراد المعنى بلفظ غير لفظه المألوف، ويختم بالحديث عن مسائل التصريف والغرض منها في اللغة، وأحكام القياس فيما لا يسوغ به النطق.

 المجلد الثالث: في هذا المجلد يتطرق ابن جني لموضوع الاستخفاف في اللفظ، وإضافة الاسم إلى المسمى، ويتحدث عن قضية تسمية الفعل، وصناعة الإعراب، وتركيب المذاهب والسلب، ويعرض قضية الجائز والواجب في اللغة، وينتقل إلى الصيغ والحركات والهمز وشواذه وما فيه من إبدال، ويفصل بابًا عن الحوار وأهميته، ويتحدث بعدها عن الألفاظ والمعاني وأغلاط العرب، ويختم بالحديث عن النقل والرواة الثقات.

رابعا: منهج ابن جني في كتاب الخصائص:

 ما هي المبادئ التي بنى ابن جني عليها منهجه في كتاب الخصائص؟ إنّ ابن جني في كتابه الخصائص كان له منهج يقوم على مجموعة من الأسس، ولعلّ هذا المنهج هو الذي ساعده في جمع كل المعلومات عن اللغة وأصولها في كتاب واحد.

1/ القياس: إذ إنّه حاول أن يقيس على ما سُمع عن العرب للوصول إلى أمور جديدة في اللغة لم تُسمع بعد، وقد تمكن من ذلك من خلال ما وصل إليه من دراسة صوتية للحروف.

2/ الإفادة مما سبق: اعتمد ابن جني كثيرًا على دراسات من سبقوه مثل الفراهيدي وسيبيويه، وذلك كان واضحًا من خلال ذكره لكثير من المحاورات بينه وبين أبي علي الفارسي، وعرض آراء سيبويه والخليل وغيرهم من علماء اللغة الذين سمع عنهم.

3/ التجديد: من خلال اطلاع ابن جني الواسع على العلوم والمعارف وآراء من سبقوه استطاع أن يتّسم بالتجديد فيما وصل إليه، فهو يعترف بعلوم الآخرين، ولا ينكر فضلهم، وفي الوقت نفسه يُوضّح أنه استطاع الوصول إلى أشياء جديدة مستحدثة بناء على ما سمعه من السابقين، وبعد بحث ودراسة وقراءة.

4/ البحث والموسوعية: تميز منهج ابن جني في كتاب الخصائص بموسوعيّة المعلومات، فالمُطّلع على مضمون الكتاب يلاحظ تنوع الموضوعات المتعلقة باللغة وشموليتها، إضاقة إلى أنّها توضح المقدار الهائل من البحث الذي قام به ابن جني حتى وصل إلى هذه المعلومات ونظّمها في الكتاب.

5/ الحجج والبراهين: لم يذكر ابن جني رأيًا أو قاعدة أو شيئًا توصل إليه إلا وقد دعمه بالحجج والأدلة، إما من القرآن الكريم أو الحديث النبوي، وقد اشتمل كتاب ابن جني على شواهد من كلام العرب، وفي ذلك دليل على صدق معلوماته وأمانته في النقل، ودقته في شرح المعلومة.

6/ التصنيف: اعتمد ابن جني في طرحه للمواضيع منهجًا وصفيًا، إذ إنّه بعد أن جمع اللغة من بيئتها المحددة ومن مصادرها البشرية، قام بتصنيفها وفق أسس وصفية وتقريرية، وهذا التصنيف يظهر بوضوح في كل أبواب كتاب الخصائص، منها مثلًا: في وصفه للأصوات.

7/ اتساع الدراسة: فلم يقتصر ابن جني في كتابه الخصائص على دراسة اللغة في مستوى واحد من مستوياتها، إنما درسها من كل المستويات الصرفية والنحوية والدلالية والصوتية والمعجمية، وهذا ما تتجه إليه المناهج الحديثة في العصر الحاضر.

8/ الفلسفة والمنطق: استطاع ابن جني في كتابه أن يكون منطقيًا بكل ما كتبه، وكثيرًا ما لجأ إلى تعليل الكثير من ظواهر اللغة التي تحدث عنها بأسلوب فلسفي، وعلى أسس منطقية مقنعة، وذلك بهدف إقناع القرّأء وإقامة الدليل على من يعارضه الرأي.